

أضواء البيان

@ 162 العذاب ، وسبقت له في علم الشقاوة لا ينفعه وضوح أدلة الحق ، وذكر هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ } وقوله : { وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرَضُوا } ، وقوله : { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } وقوله : { وَكَأَيِّن مِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } وقوله : { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } . . .
والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . . .

قوله تعالى : { إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } . . .
ظاهر هذه الآية الكريمة أن إيمان قوم يونس ما نفعهم إلا في الدنيا دون الآخرة ، لقوله : { كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } . . .
ويفهم من مفهوم المخالفة في قوله : { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أن الآخرة ليست كذلك ، ولكنه تعالى أطلق عليهم اسم الإيمان من غير قيد في سورة (الصافات) والإيمان منقذ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، كما أنه بين في (الصافات) أيضاً كثرة عددهم وكل ذلك في قوله تعالى : { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلىٰ مَلَأْتَةً أَلْفِ أَوْ يَزِيدُونَ فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } . ! 77 ! قوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا } . . .

صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه لو شاء إيمان جميع أهل الأرض لآمنوا كلهم جميعاً ، وهو دليل واضح على أن كفرهم واقع بمشيئته الكونية القدرية . وبين ذلك أيضاً في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } ، وقوله : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى } ، وقوله : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ } على الهدى { إلى غير ذلك من الآيات . . .

قوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تَكْفُرُهُ } النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مَوْمِنِينَ } . . .
بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن من لم يهده إلا فلا هادي له ، ولا يمكن أحداً أن يقهر قلبه على الانسراح إلى الإيمان إلا إذا أراد إلا به ذلك . . .
وأوضح ذلك المعنى في آيات كثيرة كقوله : { وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنُ

تَمْلِكْ لَهُ مِنْ اللَّامِ شَيْئًا } ، وقوله : { إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَي هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّامَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ }